المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الإنسانية والاجتماعية والتحديات المعرفية
جامعة فردوسي مشهد 2025

جماليات انتاج المعنى في رسائل الإمام الحسين (عليه السلام)

م. د. ياسين ضاري نجم سهيل [1]
١. وزارة التربية، مديرية تربية الكرخ الثانية[1]

الملخص

عمل هذا البحث على مفردة هي غاية الاهمية في مدلولها المعرفي أولا، ومدلولها اللغوي ثانيا، إذ يسعى الى الكشف عن فاعلية القيم الجمالية في المعاني المنبثة في ثنايا رسائل الامام الحسين (عليه السلام) ومدى أهميتها في إيصال مفهوم انساني خالص، يعبر عن رسالة سماوي جاء بها (جده صلى الله عليه واله وسلم) ضمن نصحه وإرشاده لأهمية التعاليم الاسلامية السامية، وبيان تفاهة الدنيا أمام قضايا الاخرة، فجاء البحث ليُبيَّن مكانة تلك الرسائل من الناحية الجمالية الخالصة، في تتبع معانيها وفهم محتواها البلاغي المعرفي المبني على آليات بيانية وبديعية معروفة. ويحاول هذا البحث أولا بيان أهمية رسائل الامام الحسين (عليه السلام) من الناحية الانسانية، وبيان القيمة الجمالية للمعاني المطروحة في ثنايا تلك الرسائل ضمن اساليب البلاغة العربية المعروفة ثانيا، ووقف ايضا على مصطلح (الجمال) ومفهومه. فكانت رسائل الامام (عليه السلام) تدور حول دائرة الاصلاح المتكامل للإنسان، لم تكن خاصة بالعقيدة وحداها؛ بل جاءت لتعلم الانسان معنى الرفض.

الكلمات المفتاحية: جماليات، انتاج المعنى، الإمام الحسين(ع).

١. المقدمة

إن المعاني هي جوهر الاشياء، فلا قيمة لشيء إذا لم يكن ذا معنى، والحقُ سبحانه وتعالى قد جعل دلالة الاشياء تكمن في معانيها، وعرَّف كل شيءٍ بشكله ومعناه، فكانت اللغة هي المبنى الذي تتشكل عليها الاشياء لتعبر عن هذه المعاني لذلك جاء المعنى مختلفا باختلاف لغته، فتنوعة أشكاله وتعددت أليات تشكيله، فالباث إذا أراد التنوع في أساليب كلامه أختار أساليب البلاغة المعروفة، بشرط أن يكون ملمًا بها، واعيا بمدلولاتها المنطقية. ينبثق النسيم الهادئ والمعاني الصافية الممزوجة بالنصح الصادق من ثنايا رسائل الامام الحسين (عليه السلام)، فلم تكن كلمات عابرة أو متشظية؛ بل كانت وما تزال طريقا ومنهجا خطه لأمةِ جده (عليه الصلاة والسلام)، فهو وريث القيم والمعاني السامية والاخلاق الرفيعة،

1 - Email: Yassen20232024@gmail.com

وحامل لواء التغير في مجتمعٍ عاد الى جاهليته، معاندا ومجاهرا بها بكل وقاحة، فمن يقف بوجه الظلم والطغيان الا وريث نبي، ومن يصدح بالحق الا من يرى في مسؤوليته امة كاملة.

لذلك تعد رسائل الامام (عليه السلام) وثائق ومواقف اسلامية مشرفة في التاريخ الاسلامي، بيَّنت مدى حرص سليل النبوة على تطبيق مبادئ الاسلام وارجاع الامور الى نصابها الصحيح، بحسب منهاج النبوة الشريف، وما في هذه الرسائل من معاني سامية، ترتقي لتكون رسائل خالدة على مر التاريخ، تتدارسها الأجيال لتخرج منها بمعاني جديدة وعبر عظيمة كونها صادرة عن ذات مؤمنة صادقة، بصورة بلاغية واعية، تلبي جميع متطلبات الحياة، فضلا عن تلبيتها مقتضيات النص من سبك وحبك وتناسب مقتضى الحال، أو مطابقة المقام بسمات فنية وجمالية، إذ كانت هذه جميعاً تؤدي في ضروبها نصاب الوازع الديني بتميّز، ووازع الالتزام الاخلاقي بمن وثق بك، وهو ما تسعى الية تلك الرسائل.

فالإيقاعات والتناسق الصوتي في الرسائل كانت ترد من دون تكلف، إذ نلحظ ذلك في استخدام اسلوب الكلام المباشر في بيان منهجه (عليه السلام) لأجل الوقع النفسي في التفكر في مضمون الرسالة، التي جاءت هذه الرسائل من أجل الاصلاح الاعظم في منظومة الدين الاسلامي، فكل نبي ووصي (عليهم السلام) كان هدفهم الاول هو الاصلاح في مجتمعات جاهلة لا تفرق بين الصحيح والمذموم، فعلى مر العصور احتاج الانسان الى من يرشده ويعلمه ويوجهه الى طريق الحق، طريق الخالق وما يريده منه، فمقام الاصلاح الاول هو عبادة الله بالطريقة التي اوجبها عليهم، لا كما يريدون أو يريده لهم اسيادهم، فكانت رسائل الامام (عليه السلام) تدور حول دائرة الاصلاح المتكامل للإنسان، لم تكن خاصة بالعقيدة وحداها؛ بل جاءت لتعلم الانسان معنى الرفض، لكل مسار أعوج، معنى أن يكون الانسان حرا، يختار من يراه الاصلح، لا يُختار له، يُعلَّم معنى الالتزام الحقيقي أمام مسؤولية الفرد اتجاه دينه وامته، فهو منهج اصلاح،لا نجده في الكثير من قوانين البشر الوضعي، نتعلم منه أهم درس في الحياة، كيف ضحى الامام بكل غالي ونفيس من أجل الاصلاح في أمة جده (عليه الصلاة والسلام)، تعلمنا أن الامور العظيمة لا تأتي بدون تضحية، فبيّنت في ثناياها أمورا مهمة تعبر عن مدى حرصه (عليه السلام) على هذه الامة وتقديم كل ما ينفعها في امورها الدنيوي، فضلا عن الدعوة الى مرضاة الله سبحانه وتعالى.

أما أهم ما ميَّز رسائل الإمام الحسين عليه السلام نختصرها بالاتي:

أولا. فصاحة اللفظ وبلاغة المعنى و الاسلوب المتفرد في استعمال كل كلمة في موضعها بحسب ما يقتضي مقام المقال وموضوع الرسائل.

ثانيا بيان فضل النبي (صلى الله عليه واله وسلم) على هذه الامة، بذكره في مقدمة رسائله وبيان صفاته الرفيعة ومكانته العظيمة عند الله، بعد أن اختاره واصطفاه على العالمين، وكأنها مقدمات إقناعية لمن آمن بذلك أن يُسلِّم بأحقية الامام الحسين (عليه السلام) بالاتباع والطاعة.

ثالثا: استعمال اسلوب الإيجاز والتكثيف في رسائله؛ مما يدل على مكانته العلمية في معرفة مداخل ومخارج اساليب لغة العرب.

١. ١. خلفية البحث: قد أُلّف مؤلفات إسلامية كثيرةفي هذا الموضوع مثل:

١. كلام الإمام الحسين (عليه السلام) مقاربة تداولية لعماد طالب موسى جاسم.

٢.مقالة جماليات المعنى البيانى (التشبيهى الإستعاري) في خطاب الوصايا عند الإمام الصادق لصباح حسن عبيدالنعيمي.

٣. الأبعاد الفكرية و الجمالية لصورة الإمام الحسين في الرسم العراقي المعاصر لهديل هادي عبد الأمير.

١. ٢. أسئلة البحث

١. ماهي فاعلية القيم الجمالية في المعاني رسائل الامام الحسين (عليه السلام)؟

٢.ما هو مدى أهمية كشف الجمالية في إيصال مفهوم انساني خالص؟

٣.ماهي أهمية رسائل الامام الحسين (عليه السلام) من الناحية الانسانية؟

١. ٣. فرضيات البحث

١.لكشف مفهوم انساني خالص يجب فهم الجمالية فى رسائل الإمام الحسين (ع)

٢. رسائل الإمام الحسين (ع) ذات أهمية وافرة من الناحية الإنسانية.

١. ٤. الإطار الكلي للبحث: اقتضت طبيعة البحث أن يتوزع على تمهيد ومبحثين، فأما التمهيد فقد وسم ب(أهمية رسائل الامام الحسين (عليه السلام) في نفوس المسلمين). أما المبحثين، فقد جاء الاول بقراءة مفهوم الجمال عند الغرب والعرب، واختص الثاني ببيان جماليات المعنى في تلك الرسائل.

٢. المفاهيم الكلية

٢. ١. مفهوم الجمال

الجمال إحدى الاركان الفلسفية الثلاثة التي قامت عليها منظومة القيم الخالدة؛ وهي"الحق والخير والجمال، والإنسان دائماً يسعى بفطرته إلى إشباع رغبته في التذوق الجمالي في كل شيء (مطر، د.ت: ٢٠) فهو دائم البحث عن الجميل، وإذا وجده انتقل إلى ما هو أجمل منه في سلم الجمال، وليس للأمر

حدود .فالإنسان دائماً يحرص على أن يرى الأشياء الجميلة، ويسمع الأصوات الجميلة، ويلمس كل جميل ويحسه ويتذوقه، كما يحاول أن يظهر بالمظهر الجميل، وهو لهذا يقف أمام المرآة زمناً طويلاً يصلح من شعره، ويتأمل وجهه وهندامه، كما يبحث عن الجمال في السكن والأكل والشرب، حيث يزين بيته، ويتفنن في عرض طعامه وشراب، نستطيع أن نقول إن الإنسان يميل بطبعه إلى الجمال.

لقد حاول الإنسان منذ القدم أن يرسم بعض الأشكال على جدران الكهوف، وكانت لرسوماته غايات جمالية تحقق المتعة البصرية، وقد تحول حسه الفني والجمالي هذا إلى استمتاع وتذوق لقيمة الأشكال، وإدراك للقيم الوظيفية المرتبطة بالجمال في هذه الرسوم والأشكال(اسماعيل، ١٩٧٤: ٧٩)

ليس غريباً أن يختلف الناس حول الجمال ومعاييره ومفهومه، بل الغريب ألا يختلفوا، فهم يختلفون فيما هو أكثر تحديداً ووضوحاً منه، وبعض هذه الاختلافات ترجع إلى الخلط بين الجمال وغيره من الصفات والقيم مثل المتعة والملائمة، كما أن الشيء المألوف قد يبدو لنا جميلاً بعكس غير المألوف، والعكس صحيح أحيانا، كما أن اختلاف العقائد والتقاليد والأجناس والبيئات الزمانية والمكانية والطبائع البشرية والأشكال والألوان والأحجام وما إلى ذلك يؤثر في تذوق الجمال(الكيلاني، ١٩٩٢: ٩٨).

اما السوفسطائيون فترى الجمال شيء ذاتي؛ يختلف من شخص إلى آخر، ويتغير بتغير الزمان والمكان، وجعلت الحواس وسائل للمعرفة، وكان هؤلاء السوفسطائيون ماديون حسيون في وصفهم للجمال، ولم يكونوا يؤمنون بأي مصدر إلهي أو غيبي مقدس للفن والجمال، فاعتبروا بذلك رواد النزعة الإنسانية في الفلسفة الغربية(محمد، مقال منشور على النت).

وما زال تأثير هذه النزعة مسيطراً على الفكر الفلسفي الغربي حتى اليوم.

وذهب سقراط إلى أن معايير الجمال موضوعية، وليست ذاتية كما كان يراها السوفسطائيون، ومصدر هذه الفكرة لديه هو أن العقل الإنساني لا يتغير بتغير الأشخاص، والجمال الحقيقي عنده هو جمال الباطن أو جمال النفس، وغاية الفن عنده أخلاقية بالدرجة الأولى، وليست في ذاته كما رآها السوفسطائيون وأصحاب مدرسة الفن للفن أو ما عرف بالمدرسة الجمالية فيما بعد، الذين أبعدوا الأخلاق عن القيم الجمالية(مطر، د.ت : ٣١).

ومن أهم فلاسفة الحضارة الرومانية (أفلاطين) الذي ربط جمال الإبداع بالدين والقوة الغيبية .وحين ظهرت النصرانية اصطبغ الفن بالدين، فنبذت كل الأشكال الفنية المرتبطة بالوثنية،" حيث كانت الفنون

المسيحية تعتمد على تقديم عناصرها وخصوصاً الشخصيات الدينية في أوضاع جمالية وقدسية، تعمل على جذب أنظار المتعبدين للتأمل فيها.

وفي عصر النهضة الأوروبية رأى (إيمانويل كانت) أن الجمال شعور خالص لا غاية وراءه وهو ما يروق لنا بغير أن يرتبط بمنفعة معينة.

وتناول هيجل مفهوم الجمال من خلال فلسفة مثالية موضوعية جدلية، ويرتبط عنده أساساً بمدى الإدراك الحسي الذي لا يتطلب بالضرورة أقيسة مجردة، باعتباره في الأساس، فكرةً عامة خالدة لها وجود مستقل يتجلى في الشكل الحسي للأشياء التي تخالف الحقيقة في ذاتها باعتبار أن لها "وجود ذهني غير حسي. كما أنها تتحقق في الخارج عن طريق وجود محدد المعالم عيني، وفي حالة تحققها إذا اقترن ظهورها بإدراكها مباشرة من دون أقيسة مجردة تكون حقيقة جمالية (جيهامي، ١٩٩٨: ٢٠١).

٢. ١. ١.مفهوم الجمال عند العرب

علم الجمال "هو مجموعة الأدوات المعرفية التي تمكن صاحبها من دراسة المواقف التي يتخذها الإنسان من مظاهر الكون والمجتمع في إطار العقيدة الدينية، ويعبر عنها في أشكال متعددة تمتد من سلوكه اليومي البسيط إلى أنواع الفنون في إطار المجتمع والتراث. ربما كان من حق الدارس للجمال في الفكر العربي، أن يدرس المجتمع وما ينضوي عليه من مجمل العلاقات الاجتماعية الثقافية التي ولدت نتيجة التطور الاجتماعي التاريخي لذلك المجتمع." وهو تطور يرتبط بتاريخ الثقافة والسياسة والاقتصاد في المجتمع، وبالتقاليد والعادات والنظم الأخلاقية والفكرية والجمالية التي يتميز بها ذلك المجتمع من غيره من المجتمع(صديق، ٢٠٠٣، ٢٤).

و إن تقدير العرب للجمال قبل الإسلام كان مقتصراً على الأشياء المادية الحسية مثل جمال المرأة والبعير والفرس والأطلال، وهو ما ذكره (شوقي ضيف)في كتابه" العصر الجاهلي"، وغيره من النقاد الذين تحدثوا عن النقد في العصر الجاهلي وهذه وإن كانت حقيقة إلا أنها ليست الحقيقة الكاملة(عوض، مقال منشور على النت).

فقد عرف العرب – منذ العصر الجاهلي – الجمال المعنوي إلى جانب الجمال المادي الحسي، وقد تمثل الجمال المعنوي لديهم في الكرم والشجاعة والصبر والبطولة والذكاء والفطنة، وما إلى ذلك.

واتفق علماء النفس على أن الإنسان ابن بيئته، والشخصية الإنسانية تتبلور وتتحدد معالمها وتكتسب مميزاتها في خضم البيئة المتواجدة فيها وما تحمله من خصائص ومقومات وبما لها من تأثير أيضاً بالإيجاب أو

السلب، فإن مبدع الخطاب، بما فيه من مفردات وتراكيب وما يحتويه من أدوات وجمل ومواضيع تنطلق من البيئة التي ولد فيها خطابه الجمالي الذي يكرس مفردات بيئته وأساليبها كما بدت في رحاب تلك البيئة البدوية، لذلك ليس صحيحاً ما ذهب إليه عز الدين إسماعيل حين تحدث عن معرفة مفهوم الجمال عند العرب في الجاهلية كانت معرفة أولية ساذجة، ولم تكن معرفة واعية، "أننا لا نستطيع أن نتصور أنه كانت في نفسه فكرة عن الجمال، فضلاً عن أن تكون نظرية" (اسماعيل، ١٩٧٤، ١٣١). وليس صحيحاً ما قاله:إن" العربي القديم لم يفكر في الجمال، وإن كان قد انفعل بصوره، وهو لم ينفعل بكل صوره، بل انفعل بصوره الحسية ...وهذا يجعلنا نتبه إلى أن العرب منذ اللحظة الأولى كانت نزعتهم حسية في تذوق الجمال(إبراهيم، ١٩٨١، ١١).

٢. ١. ٢. مفهوم الجمال في الاسلام

وحين جاء الإسلام وجه الحس البشري إلى الجمال في كل شيء، وسعى إلى تحريك الحواس المتبلدة لتنفعل مع كل شيء في هذا الكون، يقول محمد قطب" والفن الصحيح هو الذي يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود (قطب، محمد، ٦١٨). ووجه الإسلام الإنسان إلى أن يلاحظ الانسجام بين الأشياء، وما فيها من أسرار الجمال. يقول الله عز وجل في كتابه الحميد:﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ الى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَالى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَالى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ والىَ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ سورة الغاشية ١٧-٢٠. ويريد الله أن يوقظ حسهم بجمال الأشياء حولهم، لم ينتبهوا لها لرتابة الحياة من حولهم، ومن ذلك قوله تعالى :﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ سورة النحل ٦. يوضح الزمخشري معنى الجمال، لأنه من أغراض الوارد في هذه الآية بقوله" :منّ الله بالتجمل أصحاب المواشي، بل هو من معاظمها، لأن الرعيان إذا روحوها بالعشي، وسرحوها بالغداء– فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء –آنست أهلها، وأجلتهم في عيون الناظرين إليها، وأكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس، فإن قلت: لم قدّمت الإراحة على التسريح؟ قلت: لأنّ الجمال في الإراحة أظهر، إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع، ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها" (الزمخشري، ٢٠٠٤، ٥٧١). كما يدعونا ربنا إلى التأمل في الآفاق لنرى التناسب والانسجام في خلقه تعالى :﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ ويقول :(وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾ (سورة الملك ٣-٥) ويقول ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا الى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾ (سورة

ق٣). ﴿وَالخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَة ﴾(سورة النحل ٨). والاتزان والتسوية والتساوي في الأقدار والموازين من تمام الانسجام الذي يثير فينا حاسة الجمال، ومن ذلك قوله تعالى :﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَلَقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَنَبَتْنَا فِيهَا منْ كُلّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾.(سورة الحجر/ ١٩) وقوله تعالى ﴿يايها الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بربك الكريم) (سورة الانفطار٦). ويقول ابن قيم الجوزية" :ومن أسمائه الحسنى الجميل، وفي الصحيح عنه "إن الله جميل ويحب الجمال(مسلم، ج١، ٢٠). وأتمهم معرفة من عرفه بكماله وجلاله وجماله سبحانه، ليس كمثله شيء في سائر صفاته، ولو فرضت الخلق كلها على أجمل صورة— وكلهم على تلك الصورة – ونسبت جمالهم الظاهر والباطن إلى جمال الرب سبحانه، لكان أقل من نسبة سراج ضعيف إلى قرص الشمس، ويكفي في جماله أنه لو كشف الحجاب لأحرقت سبحانه ما انتهى إلى بصره من خلق (ابن القيم، ١٩٧٩، ١٨١-١٨٢). وجمال الله أساس الرؤية الإسلامية للجمال، حيث تنعكس آثار جمال الله على مخلوقاته ما دامت السماوات والأرض، تمثلت قمة الجمال في القرآن الكريم كما رأينا.

٢. ٢. جماليات المعنى

تعددت القراءات و المقاربات لدلالة كلمة (المعنى) قديما وحديثا، فظهرت تعريفات وأراء كثيرة حولها، فابن فارس (ت٣٩٥هـ) يرى المعنى بمفهوم (القصد) (بن فارس، ١٩٦٣، ٣١٢).

الذي يسعى اليه المتكلم باستخدام وسائل لغوية معروفة لدى المتلقي، وجاء ايضا المعنى بمفهوم (الإظهار).

ويرى (دي سوسير) أن المعنى "إرتباط متبادل أو علاقة متبادلة بين الكلمة أو (الاسم) وهو الصورة السمعية وبين الفكرة (السعران، ١٩٩٧، ٢٣). يبين ارتباط المعنى بمدلوله لغوي مع انتاجية الفكرة المرجوة من النص. أما (أولمان) فيجده " العلاقة المتبادلة بين اللفظ والمدلول، تلك العلاقة التي تمكن أحدهما من استدعاء الآخر(أولمان، ٧٢) وهو يؤكد ما قاله (سوسير) من ارتباط المعنى باللفظ اللغوي.

اما (فيرث) فيرى " أن المعنى اللغوي هو مجموعة من الخصائص والميزات اللغوية للحدث المدروس، وهذه الخصائص لا تدرس دفعة واحدة بل لابد من تناولها على مراحل ومستويات مختلفة (الفواز، ٢٠٠٠، ١٠). فهذه المستويات والمراحل كلها مفاهيم لغوية مرتبط بشكل مباشر بمعانيها، وهي التي تحدد تلك الاختلافات الحاصلة في مدلولاتها المعرفية.

أما الدراسات العربية الحديثة فتنظر الى المعنى بوصفه " التصور الحاصل في الذهن، أو الفكرة التي يشكلها الوعي عن مظاهر الاشياء في العالم أو الواقع الخارجي المحيط به.

فنجد الناقد الدكتور (مصطفى ناصف) يبين للمعنى مقاصد عديدة منها " الغرض الذي يقصده المتكلم أو الفكرة أو التصور، وهي الماهية " ثم يعرض أراء القدماء ويبين أنهم أرادوا بالمعنى " الاشياء الحسية التي تبين مقصد المتكلم بدلالة الاشياء الحسية وما يصاحبها من دلالة معنوية أخرى (ناصف، ٣٨).

وقارب الدكتور(صابر الحباشة) بين (المعنى والمفهوم) فقال " أنهما يمثلان صورة عقلية، ولكن تغير الدلالة بين هذا وذاك إنما يقوم على جهة التعلق، فالمعنى مرتبط باللفظ، فالمفهوم حاصل في العقل، ولا يعني ذلك أن المفهوم معزول عن اللفظ، ولا أن المعنى بعيد عن العقل بأي حال من الاحوال (حباشة، ٢٠١١، ٤٣).

اما المعنى من وجهة نظر الباحث هو(القصد) الذي يتشكل ضمن الالفاظ، بواسطة الاداء اللغوي الظاهر، المتكون من التراكيب اللغوية الممزوجة بالتراكيب البلاغية، لتؤدي معاني مقصود يتبناها المتكلم، ويسعى الى بيانها لمتلقٍ واعٍ بمدلولاتها المعرفية.

ونحن نقرأ هذه الرسائل العطرة، نجد بعض الفنون البلاغية التي تزين الكلام، تبين جماليات معنى الاداء لهذه الكلمات المتضمنة فيها، فالغالب على مقدمتها، أنها تبدأ بالبسمة، وبعدها التعريف بالمرسل، وهذا من (حسن الابتداء) وهو أحد الفنون البديعية المميزة لنصوص، فحسن الابتداء قال عنه أهل البيان، انه من البلاغة، ويسمى (براعة المطلع) "وهو أن يتألق المتكلم في أول كلامه، ويأتي بأعذب الألفاظ، وأجزلها وأرقها وأسلسها وأحسنها، نظماً وسبكاً، وأصحها بناءًا، وأوضحها معنىً وأخلاها من الحشو، والركة والتعقيد، والتقديم والتأخير الملبس والذي لا يناسب"(المدني، ١٩٦٩، ٣).

وقد ذكر البلاغيون أنّ الأديب ينبغي أن يتأنّق في ثلاثة مواضع من كلامه حتى يكون أعذب لفظا، و أحسن سبكا، و أصحّ معنى. و هذه المواضع هي: الابتداء، و التخلص، و الانتهاء. والابتداء أن يكون مطلع الكلام شعرا أو نثرا، أنيقا بديعا، لأنّه أول ما يقرع السمع فيقبل السامع على الكلام و يعيه، و إن كان بخلاف ذلك أعرض عنه و رفضه و إن كان في غاية الحسن. وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود و يسمى (براعة الاستهلال)، وقال عنه ابن قيم الجوزية:" و ذلك دليل على جودة البيان و بلوغ المعاني الى الاذهان، فانه أول شيء يدخل الأذن، و أول معنى يصل الى القلب، و أول ميدان يجول فيه تدبر العقل"(الجوزية، ١٧٣).

وهو ما قصده (الامام الحسين عليه السلام) بقوله" أما بعد: فان الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وآله على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده وبلغ ما ارسل به صلى الله

عليه وآله وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس"(الغامدي الكوفي، ٢٠١٢، ١٢٧).

يبين في مقدمة رسالته مكانة جده رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عند ربه، وانه اختاره واصطفاه على خلقه، وقد بلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة، وتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزغ عنها الا هالك، يبين مكانة الرسول ليخاطب قلوب المؤمنين، وينبه الاذهان الى أن من يخاطبهم سليل النبوة، ووريثها الشرعي، فأول معنى يصل الى القلوب، هو نسبه (عليه السلام) وكذلك التنبيه على الحق في اتباعه والدفاع عن الاسلام، فهو الممثل الوحيد لدين الحق في زمنه. فحسن الابتداء كان انطلاقا لبيان محتوى الرسالة، والتنبيه على أهميتها.

ونجد كذلك (حسن التضمين) و" هو أن يضمن المتكلم كلامه كلمة من بيت أو من آية أو معنى مجردا من كلام أو مثلا سائرا أو جملة مفيدة أو فقرة من كلمة" (المصري، ١٩٦٣، ١٤٠). و قد سمّوا تضمين كلام الله (اقتباسا) و فرّقوا بين التضمين و الاقتباس "(الخطيب القزويني، ٢٠٠٣، ٤١٨). ومما جاء في رسائله (عليه السلام) جوابه على رسالة عمرو بن سعيد، كتب إليه الحسين (عليه السلام) : "أما بعد، فانه لم يشاقق الله ورسوله من دعا إلى الله عز وجل وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين، وقد دعوت إلى الامان والبر والصلة، فخير الامان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافة في الدنيا توجب لنا أمانه يوم القيامة، فان كنت نويت بالكتاب صلتي وبري فجزيت خيرا في الدنيا والاخرة، والسلام"(الغامدي الكوفي، ١٨٠).

فحسن التضمين جاء مناسبا لفحوى ومدلول الرسالة، فالآية القرآنية" ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب "اي خالفوهما فساروا في شق، وتركوا الشرع والايمان به واتباعه في شق — وهو مأخوذ ايضا من شق العصا، وهو جعلها فرقتين، ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب (أي هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه، لا يفوته شيء، ولا يقوم لغضبه شيء، تبارك وتعالى، لا إله غيره، ولا رب سواه " (تفسير ابن كثير. تفسير سورة الانفال، ج٢). جاءت لتؤكد معنى الوفاء بالعهد مع الله سبحانه وتعالى، ورسوله (صلى عليه واله وسلم) بوفائك لمن يمثلهم الان، وهناك ايضا، حسن التضمين لأية اخرى هي قوله تعالى " وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} فالعمل الصالح هنا مقرون باتباع (أهل البيت) ومناصرتهم، والوفاء بالعهود التي اقتطعوها أهل الكوفة على انفسهم اتجاه قضية الاسلام وما خرج من أجله الامام الحسين (عليه السلام)

وكذلك نجد حسن الانتهاء في هذه الرسائل العطرة، وحسن الانتهاء هو نهاية الغاية من الرسالة ونهاية كل شيء آخره، ويقال: بلغ نهايته، و انتهى الشيء و تناهى و نهّى بلغ نهايته. ويقالُ له "حسنُ الختامِ وهو أنْ يجعلَ المتكلِّمُ آخرَ كلامه، عذبُ اللفظِ، حسَنُ السبكِ; صحيحُ المعنَى، مشعراً بالتمامِ حتى تتحققَ براعةُ المقطعِ بحسنِ الختامِ، إذ هو آخرُ ما يبقى منهُ في الأسماعِ، وربما حُفِظَ منْ بينِ سائر الكلامِ لقربِ العهدِ به" (الهاشمي، ٢٠١٧، ١٨). و سماه المصري حسن الخاتمة و ذكر انه من مستخرجاته، و قال: "يجب على الشاعر و الناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة فانّها آخر ما يبقى في الاسماع و لأنّها ربما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونضجها وحلاوتها وجزالتها" (المصري، ٦١٦).

مثال ذلك ما جاء في رسالته (عليه السلام) " ونحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه وقد أحسنوا وأصلحوا وتحروا الحق، فرحمهم الله وغفر لنا ولهم. وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، فان السنة قد اميتت، وان البدعة قد احييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري اهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله". الدعوة الى كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه واله وسلم) اعظم الدعوات التي يبنى عليه مستقبل الامة الاسلامية، فهي إن تركت كتاب الله وسنة رسوله(عليه السلام)، ذُلت وقهرها أعداءها، فكان التنبيه الاول الى التمسك بهما، والتنبيه كذلك على ضياع الاتباع لما قاله الرسول (عليه أفضل الصلاة والسلام) وتفشي البدع والمحرمات، ثم يختم (عليه السلام) بنصيحة قيمة " وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري اهدكم سبيل الرشاد" كأنه مؤمن ال فرعون، عندما نصح قومه بتباع موسى(عليه السلام) فهذا طريق‌الحق، فمن سلكه أمن،ومن خالفه خسر.

ونجد ايضا في ثناياها الايجاز أو الاختصار وهذا الاسلوب من أبرز أساليب العرب، فقد اهتموا بالعبارة الموجزة و الكلام المختصر ليسهل حفظه و يكون تأثيره في النفوس عظيما. و قد حدّد البلاغيون و النقاد أسلوب التعبير تبعا للموضوع فقال ابن منقذ و هو يتحدث عن الاسهاب و الاطناب و الاختصار و الاقتصار: "اعلم أنّ كل واحد من هذه الأقسام له موضع يأتي فيه فيحمد فان أتى في غيره لم يحمد. فان كان في الترغيب و الترهيب و الاصطلاح بين العشائر و الاعتذار و الانذار الى الأعداء و العساكر و ما أشبه ذلك فيستحب فيه التطويل و الشرح.

و أما غير ذلك فيستحب فيه الاختصار و الاقتصار، وهو ما نجده في قوله (عليه السلام) " (أما بعد: فان الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وآله على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه

وقد نصح لعباده وبلغ ما ارسل به صلى الله عليه وآله وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحق الناس بمقامه في الناس فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية".

فما الفرقة ؟ وما العافية ؟ نعود الى ما حصل قبل واقعة الطف بسنوات عديدة، يوم تولى امر المسلمين الامام (الحسن) عليه السلام، وحصل ما حصل من أهل الشام، وتفاقمت الاوضاع، وبلغت القلوب الحناجر، من أجل الامارة، تنازل (عليه السلام) وهو أحقُ الناس بها، من أجل الاسلام، وجمع الله به كلمة الامة من جديد، بعد أن كادت الفرقة تنهش جسد الامة، وتضيع ما جاهد من اجله رسول الله(صلى الله عليه واله وسلم) واهل بيته وصحابته الكرام، فكانت العافية هي الاختيار الاسلم للخروج من هذه المحنة، والعافية هي حقن دماء المسلمين، والتنازل عن حقهم المشروع في قيادة جموع المسلمين، بل أنهم عزلوا أنفسهم عن أي منصب دنيوي، واختاروا حياة النُساك، ولكن بشرط أن يعدل الحاكم ويسير على المنهج الرباني الذي تركه جده (عليه الصلاة السلام)، والا فإن صاحب الكلمة سيقولُ كلمته، وهو ما قام به الامام الحسين (عليه السلام) عندما انحرفت الدولة عن اهم ركن من اركان الحكم، وهو الشورى، وعدم التوريث في الحكم، لأنها ستصبح سنة في الحكم، وهو ما حصل ويحصل الى يومنا هذا.

كذلك نجد فنا اخر من فنون البديع، وهو الانسجام الحاصل بين المفردات والجمل في ثنايا الرسائل، لنُعَّرف أولا معنى الانسجام " هو أن يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المنسجم سهولة سبك و عذوبة ألفاظ حتى يكون للجملة من المنثور و البيت من الموزون وقع في النفوس و تأثير في القلوب ما ليس لغيره مع خلوه من البديع و بعده عن التصنيع. و أكثر ما يقع الانسجام غير مقصود كمثل الكلام المتزن الذي تأتي به الفصاحة في ضمن النثر عفوا كمثل أشطار و أنصاف و أبيات وقعت في أثناء الكتاب العزيز " (المصري، ٤٢٩).

ونجد حازم (القرطاجني ٦٨٤هـ) قد ربط الانسجام بالانسجام الصوتي، وربطه بمستوى النص ككل، إذ لم يتوقف عند الكلمة الواحدة بل تعدى ذلك إلى دراسة التلاؤم بين الجمل المكونة للنص، يقول: "ومن ذلك حسن التأليف وتلاؤمه، والتلاؤم يقع في الكلام على أنحاء : منها أن تكون حروف الكلام بالنظر إلى ائتلاف بعض حروف الكلمة مع بعضها وائتلاف جملة كلمة مع جملة تلاصقها منتظمة في حروف مختارة متباعدة المخارج مترتبة الترتيب الذي يقع فيه خفة وتشاكل ما، ومنها ألا تتفاوت الكلم المؤتلفة في مقدار الاستعمال فتكون الواحدة في نهاية الابتذال والأخرى في نهاية الحوشية وقلة الاستعمال، ومنها أن تتناسب بعض صفاتها مثل أن تكون إحداهما مشتقة من الأخرى مع تغاير المعنيين من جهة أو جهات أو

تتماثل أوزان الكلم أو تتوازن مقاطعها، ومنها أن تكون كل كلمة قوية الطلب لما يليها من الكلم أليق بها من كل ما يمكن أن يوضع موضعها"(القرطاجني، ٢٠٠٨، ٢٢٢).

وهذا ما نجده في رسالة الامام الحسين(عليه السلام) الى أهل الكوفة:

بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي الى الملأ من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، أما بعد، فإن هاني بن هاني، وسعيد بن عبد الله قدما عليَّ بكتبكم فكانا آخر من قدم علي من عندكم، وقد فهمت الذي قد قصصتم وذكرتم ولست أقصر عما أحببتم، وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل بن أبي طالب،وقد أمرته أن يكتب إلي بحالكم ورأيكم ورأي ذوي الحجى والفضل منكم، وهو متوجه إلى ما قبلكم إن شاء الله تعالى والسلام ولا قوة إلا بالله. فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم فقوموا مع ابن عمي وبايعوه وانصروه ولا تخذلوه! فلعمري! ليس الأمام العامل بالكتاب والعادل بالقسط كالذي يحكم بغير الحق ولا يهدي ولا يهتدي، جمعنا الله وإياكم على الهدى وألزمنا وإياكم كلمة التقوى، إنه لطيف لما يشاء والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته " (الغامدي الكوفي، ١١٤-١١٥).

فنجد الانسجام في قوله "وقد فهمت الذي قد قصصتم وذكرتم ولست أقصر عما أحببتم" فالإفهام الذي جاء مرتبطا بعدم التقصير، يدعو الى التأمل في كيفية انسجام تلك الكلمات مع بعضها البعض، بالإضافة الى كلمة احببتم، وكأن الامام (عليه السلام) يستخدم تلك الكلمات مراعيا ما سيحدث مع من يلبي دعوته ويعلن ولائه لعترة الطاهرة، فجاءت تلك العبارات منسجمة مع واقع الحال الذي هم فيه.

النتيجة

كانت رحلة محزنة ومؤلمة في قراءة رسائل الامام الحسين (عليه السلام)، وكأن القارئ يرى الاحداث ويعيشها، ولسان حاله ينتحب على ما اقترفت الامة بحق نبيها (صلى الله عليه واله وسلم)، حادثة ليست كأي حادث عابر، يتجدد كلما ذُكر اسمه (عليه السلام)، وللحديث شجون، ولا نقول الا ما يرضي ربنا، ولا حول ولا قوة الا بالله، وجدنا في رسائله (عليه السلام) عبرة وعظة، تعليم وتثقيف، نصح وارشاد، سلام وامان، دعوة للخير، اصلاح للأمة، تضحية وفداء، كرم وعطاء، جمع كل صفات الخير، لأنه سليل نبوة وابن خير الخلق، فمن يحمل هذه الصفات جاء خطابه محملا بكل اساليب الفصاحة والبلاغة، وهو ما حاولنا أن نستخرجه من هذه الرسائل العطرة.

فوجدنا فيها اساليب البيان، واساليب البديع، ما ذكرناه في ثنايا البحث.

المصادر والمراجع

- إبراهيم، طه أحمد(١٩٨١). تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، بيروت، المكتبة العربية،.
- ابن فارس، أبو الحسين.(١٩٦٣)، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العربية :، ت: مصطفى الشويمي، بيروت.
- ابن كثير.(ب.ت.). تفسير القران العظيم : تفسير سورة الانفال، ج٢.
- ابن منقذ، ابي المظفر اسامة. (ب.ت.).البديع في نقد الشعر :، ت : أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والارشاد، ط١.
- اسماعيل، عز الدين.(١٩٧٤) : الأسس الجمالية في النقد العربي: عرض وتفسير ومقارنة، القاهرة، دار الفكر العربي.
- أولمان، ستيفن.(ب.ت.). دور الكلمة في اللغة : ت: كمال محمد بشير، مكتبة الشباب، الاردن.
- الجوزية، ابن القيم.(١٩٧٩). بدائع الفوائد.
- جيهامي، جيرار.(١٩٩٨). موسوعة المصطلحات الفلسفيّة عند العرب، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت.
- الحباشة، صابر.(٢٠١١). تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة: دار الحامد للنشر والتوزيع، الاردن.
- الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن جلال الدين.(٢٠٠٣)، الايضاح في علوم البلاغة: ت: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الزمخشري، جار الله.(٢٠٠٤). تفسير الكشاف، بيروت، دار الكتاب العربي.
- زوين، علي.(١٩٨٦). منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- السعران، محمود.(١٩٩٧). علم اللغة مقدمة للقارئ العربي : دار الفكر العربي، القاهرة.
- الشهاوي، صلاح عبد الستار، صفات الجمال في التراث العربي مقال منشور على الشبكة الدولية.
- صديق، حسن.(٢٠٠٣). فلسفة الجمال ومسائل الفن، دار القلم العربي- دار الرفاعي.
- عوض، محمد علي: تنقيح الأقوال في فهم فلسفة الجمال، مقال منشور على الشبكة الدولية.

- الغامدي الكوفي، ابي مخنف لوط بن يحي الازدي.(٢٠١٢). واقعة الطف : ت: الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروري، المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)، دار التعارف، بيروت.
- الفواز، لواء عبد الله عبد المنعم.(٢٠٠٠).فلسفة المعنى في النقد العربي المعاصر: جامعة الكوفة، كلية التربية للبنات.
- القرطاجني، حازم بن محمد ابن حازم.(٢٠٠٨). منهاج البلغاء وسراج الادباء: ت: محمد الحبيب ابن خوجة، الدار العربية للكتاب، تونس.
- قطب، محمد.(ب.ت.)، منهج الفن الإسلامي، بيروت، دار الشروق.
- الكيلاني، نجيب.(١٩٩٢).مدخل إلى الأدب الإسلامي: بيروت، دار ابن حزم.
- محمد، صبري خليل: مفهومي الفن والجمال بين الفلسفة الغربية والفكر الإسلامي، مقال منشور على الشبكة الدولية.
- المدني، السيد علي صدر الدين بن معصوم.(١٩٦٩).أنوار الربيع في أنواع البديع : ت: شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان، النجف الاشرف.
- المصري، ابن أبي الاصبع.(١٩٦٣). تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القران،، ت:حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامي.
- مطر، أميرة حلمي.(ب.ت.). مقدمة في علم الجمال:، د ط. القاهرة، مصر، دار النهضة العربية.
- ناصف، مصطفى.(ب.ت.)نظرية المعنى في النقد العربي: دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- الهاشمي، أحمد.(٢٠١٧). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:.ت: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية بيروت.

The Aesthetics of Meaning Production in the Letters of Imam Hussein (peace be upon him)

Abstract:

This research worked on a word that is extremely important in its cognitive connotation first, and its linguistic connotation second, as it seeks to reveal the effectiveness of aesthetic values in the meanings emanating within the messages of Imam Hussein (peace be upon him) and the extent of their importance in conveying a purely human concept, expressing a heavenly message that came. With it (his grandfather, may God's prayers and peace be upon him and his family), he provided his advice and guidance to the lofty Islamic principles, and explained the insignificance of this world in the face of the issues of the afterlife. The research came to show the status of these messages from a purely aesthetic perspective, in tracing their meanings and understanding their cognitive rhetorical content based on well-known declarative mechanisms.

Keywords: The importance of the messages of Imam Hussein (peace be upon him), the concept of beauty, aesthetics of meaning in the use of the types of badi.'